

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ عُبِدُوا اللَّهَ وَانْفُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

قوله تعالى: { أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ } أي: بأن أنذر قومك والعذاب الأليم، الغرق.

قوله تعالى: { أَنْ عُبِدُوا اللَّهَ } قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وعلي بن نصر عن أبي عمرو «أَنْ اعبدوا الله» بضم النون. وقرأ عاصم، وحمزة، وعبد الوارث عن أبي عمرو «أَنْ اعبدوا الله» بكسر النون. قال أبو علي: من ضم كره الكسر.

قوله تعالى: { وَأَطِيعُونِ } أثبت الياء في الحاليين يعقوب.

قوله تعالى: { مِّنْ ذُنُوبِكُمْ } «من» ها هنا تختص الذنوب من سائر الأشياء، ولم تدخل لتبعض الذنوب، وقال الزجاج: إنما دخلت «من» ها هنا لتختص الذنوب من سائر الأشياء، ولم تدخل لتبعض الذنوب، ومثله { وَجَنَّبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ } [الحج: 30] وذهب بعض أهل المعاني إلى أنها للتبعض.

والمعنى: يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان { وَيُؤَخِّرْكُمْ } أي: عن العذاب { إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } وهو منتهى آجالهم. والمعنى: فتموتوا عند منتهى آجالكم غير ميتة المعذبين { إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ } فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أجل الموت، قاله مجاهد. فيكون المعنى: إن أجل الله الذي أجلكم إليه، لا يؤخر إذا جاء، فلا يمكنكم حينئذ الإيمان.

والثاني: أنه أجل البعث، قاله الحسن.

والثالث: أجل العذاب، قاله السدي، ومقاتل.

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ مُّوَدَّةَ أَعْيُنِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَابْتِغَوْا نِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهْرًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ سَتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَبُمُدِّدِكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَبَجَعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَبَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ لِقَمَرٍ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ تُبَاتًا * إِنَّكُمْ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَدْرِيءَ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَدْرِيءَ وُدًّا وَلَا سُوعَاً وَلَا يَعُوتُ وَيَعُوقُ وَتَسْرًا * وَقَدْ أَصْلُوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا }

قوله تعالى: { فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا } أي: تباعدا من الإيمان { وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ } إلى

الإيمان والطاعة { جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ } لئلا يسمعو صوتي { وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ } أي: غطوا

بها وجوههم لئلا يروني { وَأَصْرُوا } على كفرهم { وَابْتِغَوْا نِيَابَهُمْ } عن الإيمان بك وإتباعي { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهْرًا } أي: معلنا لهم بالدعاء. قال ابن عباس: باعلى صوتي { ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ } أي:

كررت الدعاء معلنا { وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا } قال ابن عباس: يريد أكلم الرجل بعد الرجل في السر، وأدعوه إلى توحيدك وعبادتك { فَقُلْتُ سَتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ } قال المفسرون:

منع الله عنهم القطر، وأقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فقال لهم نوح { سَتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ } من

الشرك، أي: استدعوا مغفرته بالتوحيد { يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا } قد شرحناه في الأول

{ الْأَنْعَامِ } ومعنى الكلام أنه أخبرهم أن الإيمان يجمع لهم خير الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا ترون لله عظمة، قال الفراء، وابن قتيبة.

والثاني: لا تخافون عظمة الله، قاله الفراء وابن قتيبة.

والثالث: لا ترون لله طاعة، قاله ابن زيد:

والرابع: لا ترجون عاقبة الإيمان والتوحيد، قاله الزجاج. وقد خلقكم أطوارا أي وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيد من خلقه إياكم من نطفة، ثم من علقه شيئا بعد شيء إلى آخر الخلق.

قال ابن الأنباري: الطور: الحال، وجمعه أطوار. وقال ابن فارس: الطور: التارة، طورا بعد طور، أي:

تارة بعد تارة. وقيل أراد بالأطوار: اختلاف المناظر، والأخلاق، من طويل وقصير، وغير ذلك، ثم

قَرَّرَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ لِلَّهِ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا } وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «طبايق» بتنوين القاف وكسرها من غير ألف. وقد بينا هذا في سورة { لَمَلِكُ }. قوله تعالى: { وَجَعَلَ لِقَمَرٍ فِيهِنَّ نُورًا } فيه قولان: أحدهما: أن وجه القمر قبل السموات، وظهره قبل الأرض يضيء، لأهل السموات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، هذا قول عبد الله ابن عمرو. والثاني: أن القمر في السماء الدنيا، وإنما قال «فيهن» لأنهن كالشيء الواحد، ذكره الأخفش، والزجاج. وغيرهما. وهذا كما تقول أتيت بني تميم، وإنما أتيت بعضهم، وركبت السفن، { وَجَعَلَ لِلشَّمْسِ سِرَاجًا } يستضيء بها العالم { وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ } يعني: أن مبتدأ خلقكم من الأرض، وهو آدم { تَبَاتًا } قال الخليل: معناه: فنبتم نباتا. وقال الزجاج: نباتا محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى أنبتكم: جعلكم تنبتون نباتا. قال ابن قتيبة: هذا مما جاء فيه المصدر على غير المصدر، لأنه جاء في نبت. ومثله { وَتَبَّتْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا } { لَمُرْمَلٌ } فجاء على «بتل».

قال الشاعر:

وخير الأمر ما استقبلت منه هـ وليس بأن تتبعه اتباعا

فجاء على اتبعت.

وقال الآخر:

وإن شئتم تعاودنا عوادا

فجاء على «عوادنا» وإنما تجيء المصادر مخالفة الأفعال، لأن الأفعال وإن اختلفت أبنيتها، واحدة في المعنى.

قوله تعالى: { سُئِلَ فِجَاجًا } قال الفراء: هي الطرق الواسعة. قوله تعالى: { وَابْتَعُوا مِن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ } قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وعاصم، «وولده» بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون «ولده» بضم الواو وسكون اللام. قال الزجاج: وهما بمعنى واحد، مثل العرب، والعرب، والعجم، والعجم، وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن يعمر، والجحدري، «وولده» بكسر الواو، وإسكان اللام. قال المفسرون: المعنى: أن الأتباع، والفقراء اتبعوا رأي الرؤساء والكبراء.

قوله تعالى: { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا } قرأ أبو رجاء، وأبو عمران: «كُبَّارًا» برفع الكاف وتخفيف الباء. وقرأ ابن يعمر، وأبو الجوزاء، وابن محيصن: «كِبَّارًا» بكسر الكاف مع تخفيف الباء. والمعنى: «كبيرًا» يقال: كبير، وكبار، وقد شرحنا هذا في أول { ص } ومعنى «المكر»: السعي في الفساد، وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم من الإيمان بنوح { وَقَالُوا لَا تَدْرَأُ إِلَهَتَكُمْ } أي: لا تدعن عبادتها { وَلَا تَدْرَأُ وَدًّا } قرأ أبو جعفر، ونافع: بضم الواو. والباقون بفتحها. وهذا الاسم وما بعده أسماء ألتهم. وجاء في التفسير أن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح. ونشأ قوم بعدهم يأخذون بأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم، وأشوق للعبادة، ففعلوا. ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم. وكان ابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت. وسميت تلك الصور بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المسمين بهذه الأسماء. وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدم مات، منهم واحد، فجاء الشيطان فقال: هل لكم أن أصور لكم صورته، فتذكرونه بها؟ فصورها ثم مات آخر، فصور لهم صورته، إلى أن صور صوراً خمسة. ثم طال الزمان. وتركوا عبادة الله فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا لمن نعبد؟ قال هذه ألتهكم، وآلهة آبائكم، ألا ترونها مصورة في مصلاككم؟ فعبدوها. وقال الزجاج: هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثم صارت إلى العرب، فكان «ود» لكلب و«سواع» لهمدان، و«يغوث» لبني غطيف، وهم حي من مراد، وقيل: لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطمها التراب، فلما ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين، قال الواقدي: كان «ود» على صورة رجل، «وسواع» على صورة امرأة، «ويغوث» على صورة أسد، و«يعوق» على صورة فرس، و«نسر» على صورة النسر من الطير.

قوله تعالى: { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا } فيه قولان:

أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيراً من الناس، أي: ضلوا بسببها.

والثاني: وقد أضل الكبراء كثيراً من الناس { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ } يعني: الكافرين { إِلَّا صَلَاحًا } وهذا دعاء من نوح عليهم، لما أعلمه الله أنهم لا يؤمنون.

{ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا قَلِمَ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِئُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ عَفِّرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَ لِمُؤْمِنَاتٍ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا }

قوله تعالى: { مِمَّا } «ما» صلة والمعنى: من خطيئاتهم أي: من أجلها، وسببها، وقرأ أبو عمرو «مما خطاياهم» وقرأ أبو الجوزاء، والجحدي «خطيئتهم» من غير ألف { خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا } قال ابن السائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة نارا، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال، لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين وقال الضحاك: فأدخلوا نارا في الدنيا، وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب.

قوله تعالى: { قَلِمَ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } أي: لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله. قوله تعالى: { دَيَّارًا } قال ابن قتيبة: أي: أحدا. يقال: ما بالمنازل ديار، أي: ما بها أحد، وهو من الدار، أي: ليس بها نازل دارا. وقال الزجاج: أصلها «ديوار» فيعال فقلبت الواو ياءً، وأدغمت إحداهما في الأخرى. وإنما دعا عليهم نوح لأن الله تعالى أوحى إليه { لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ } [هود: 36].

قوله تعالى: { يُضِلُّوا عِبَادَكَ } وذلك أن الرجل منهم كان ينطلق بابنه إلى نوح، فيحذره تصديقه. وقوله تعالى: { وَلَا يَلِئُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحا، أنهم لا يلدون مؤمنا، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة. قوله تعالى: { رَبِّ عَفِّرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ } قال الحسن: وذلك أنهما كانا مؤمنين. وقرأ أبو بكر الصديق، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والجحدي، والجوني «ولوالدي» ساكنة الياء على التوحيد وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وابن يعمر، والزهري، والنخعي «ولوَلَدَيَّ» من غير ألف على التثنية { وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي } وقرأ حفص عن عاصم «بَيْتِي» بفتح الياء وفيه ثلاثة اقوال: أحدها: منزله، قاله ابن عباس. والثاني: مسجده، قاله الضحاك. والثالث: سفينته، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: { وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَ لِمُؤْمِنَاتٍ } هذا عام في كل من آمن { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ } يعني: الكافرين { إِلَّا تَبَارًا } أي: هلاكا ومنه قوله تعالى: { تَبَّرْنَا تَبِيرًا } [الفرقان: 39].